تفريغات

الدورة الشرعية الثانية للملك سليمان العلوي

تحت رعاية دار الحديث بالناضور – المملكة المغربية

شرح

ثلاثة الأصول

تأليف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأنبيَاءِ أن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا لدرسٍ في شرح

الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

– رحمه الله تعالى –

ألقاه

– حفظه اللهُ تعَالَى –

ضمن فعاليات دورة الملك سليمان العلوي الشرعية الثانية التى أقيمت بمدينة الناظور بالمملكة المغربية فى شهر جمادى الأولى عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية

نَسألُ اللّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنْ يَنْفَعَ بهَا الجَمِيع.

الدرس الرابع

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: اللهم اغفر لنا ولشيخنا وجازه عنا خير الجزاء وللسامعين.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

المتن:

الأصل الثالث: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ-عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٧]

وَمَعْنَى ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلَهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا هو الأصل الثالث الذي يجب على المسلم والمسلمة أن يعرفه حق المعرفة، فهو عيب والله في حق المسلم ألا يعرف عن نبيه هذه الكلمات اليسيرات أقل ما يجب أن يعرف نسبه– صلى الله عليه وسلم– ويعرف كم له من العمر، وكم منها قضاه في الإسلام بعد الرسالة، وكم منها كان قبل الرسالة، وكم منها بمكة وكم منها بالمدينة.

عيب بالمسلم ألا يعرف إلا محمد بن عبد الله رسول الله –صلى الله عليه وسلم –ولا يعرف عنه شيئًا غير هذا.

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو المتفق عليه في نسبه وهو الصحيح، وما فوق عدنان فمختلف فيه ولا خلاف في أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وإسماعيل هو الذبيح على القول الصحيح، فالقول بأنه إسحاق باطل وإسماعيل والد العرب

الأشهر من بنيه إسماعيلُ ۞۞۞ إسحاقُ كلٌّ منهما رسولُ
وكان إسماعيل والدَ العربْ ۞۞۞ كما سيأتي عند ذكرِنا النَّسَبْ
وهْوَ الذبيحُ دونما مجادلةْ ۞۞۞ ومن يقل إسحاقُ لا برهان لهْ
وهْوَ الذي أبوه قد أسكنهُ ۞۞۞ في حرم الله الذي آمنهُ
وقد بنى الكعبة معْ أبيه عن ۞۞۞ أمر الإله ذي الجلال والمِنَنْ
وقد رُويْ بناؤها من قبل ذا ۞۞۞ وذاك عن أهل الكتاب أُخِذَا

فهو النبي الهاشمي القرشي المكي-صلوات الله وسلامه عليه- مجموع عمره ثلاث وستون سنة، أربعون منها قبل أن يوحى إليه وثلاث وعشرون بعدما أوحي إليه.

نُبِّئ باقرأ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١ - ٢] وذلك عندما كان يتعبد في غار حراء، ويتحنث فيه كما في حديث الثوري عن عروة عن عائشة في صحيح البخاري ومسلم -رحمهما الله تعالى – يخلو بربه -جل وعلا – في رمضان قبل أن يوحى إليه، ويذهب إلى غار حراء يتحنث فيه.

وثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثبيرًا مكانَهُ ۞۞۞ وراقٍ لِبرٍّ في حِراءَ ونازِلِ

صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

فجاءه جبريل بأمر الحق وهو في هذا الوقت في رمضان في غار حراء فضمه–عليه الصلاة والسلام – وقال له: (اقرأ)، قال: ما أنا بقارئ، إخبار لست بالذي يقرأ ويكتب (ما أنا بقارئ) فأرسله ثم ضمه الثانية فقال له: (اقرأ)، قال: ما أنا بقارئ، ثم ضمه الثالثة، وغطه غطةً بلغ منه الجهد ما بلغ ثم أرسله وقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١ – ٥]

فرجع بها –صلى الله عليه وسلم– ترتجف بوادره خائفًا –عليه الصلاة والسلام–حتى جاء خديجة أم المؤمنين–رضي الله تعالى عنها وأرضاها–وأخبرها الخبر وهو يقول: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فزملته وغطته بالثياب حتى سكن وأخبرها الخبر، فقالت: «فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» وفي لفظ وتعين على نوائب الحق والله لا يخزيك الله أبدًا، ثم جاءت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن عبد العزى بن أسد بن عبد العزى فجاءت به إليه، فأخبره الخبر، وكان رجلًا قد تنصر يقرأ الكتاب – رحمه الله – فلما أخبره بذلك قال: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى»

ثم قال له: «وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا» قال: **"ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا فقال : أومخرجيَّ هم؟ قال : نعم ما جاء أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي"** وفعلًا كان كما قال – رحمه الله– رمته قريش عن قوسٍ واحدة بعدما كان عندهم محط الاحتفاء والإكرام–صلوات الله وسلامه عليه–.

فنُبئ باقرأ يعني نزلت عليه هذه النبوة باقرأ، جاءه الوحي فصار نبيًا -صلى الله عليه وسلم- ثم بعد ذلك لما رجع إليه الوحي أنزل الله- جل وعز- بعد مدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ المدثر: ١ - ٥ فجاء أمر الرسالة، أمره الله -جل وعلا- بالبلاغ بأن يقوم بهذا، وأن يصدع به في قومه -صلوات الله وسلامه عليه- ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾.

والمدَّثر هو المزمِّل وهو المتغطي في ثيابه أمره الله -جل وعز- بأن يقوم ويصدح بالدعوة،ويدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- كما قال-جل وعلا- ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] فكان منه ما كان أن رقى على سطح الجبل ارتقى على جبل ثم دعا قريش، وقال يا معشر قريش بعد أن ناداهم بطنًا بطنًا « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: - لعنه الله- تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟!» فأنزل الله -جل وعلا-: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ١ - ٥]

فكانت هذه السورة تتلى إلى يوم القيامة في بيان حال هذا الرجل الذي آذى النبي -صلى الله عليه وسلم- أيَّما إيذاء، واشتدت عداوته له، واشتدت أذيته له لأنه عمه فكان الناس يصدقونه، فكان يقول خلفه في المواسم: إن هذا ابن أخي وأنا أعرف به، لا تسمعوا له ولا تتبعونه إنه لكاذب، فكان هذا جزاءه من الله -جل وعلا-.

الحاصل أنه صبر يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى-بمكة ثلاث عشرة سنة، مولد هذا النبي كان بعام الفيل على ما هو الأشهر.

مولده كان بعام الفيل ۞۞۞ ونقل الخلاف عن قليل
ثاني عشر من ربيع الأول ۞۞۞ في يوم الاثنين بلا تحوّل

لابد أن تعرف هذا أيها المسلم عن نبيك -صلى الله عليه وسلم- هذا أقل ما يجب أن تعرفه في نسبه -صلى الله عليه وسلم- وفي سيرته التي كان عليها قبل المبعث، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلاة قبل الهجرة بثلاث سنين، فصلى بمكة-صلوات الله وسلامه عليه-ثلاث سنوات ثم أذن الله له بالهجرة فهاجر إلى المدينة، وبقي بها عشر سنين فكان المجموع ثلاثًا وعشرين مضافًا إلى الأربعين فمجموع عمره كله الشريف-صلوات الله وسلامه عليه- ثلاث وستون سنة.

فتح الله على يديه من الخير الشيء العظيم، فتح الله على يديه من الخير ما لم يكن لنبي من الأنبياء قبله -صلوات الله وسلامه عليه -وقد بعثه الله-جل وعلا-إلى الناس كافة، بل إلى الخلق كافة، إلى الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا -سبحانه وتعالى- كما قال -جل وعلا-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] والعالم المراد به هنا الجن والإنس.

مكث عشر سنين في مكة يدعو إلى التوحيد ما جاء شيء من الشرائع بمكة إلا الصلاة قبل الهجرة بثلاث سنين والباقي كله دعوة إلى التوحيد تقرير للتوحيد، وذم للشرك وتحذير منه وبيان سوء عاقبته وبيان سوء عاقبة أهله ومآلهم عند الله- جل وعلا- يوم القيامة.

وآمنت الجن به -صلى الله عليه وسلم- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]

هؤلاء الجن هم الذين قال الله فيهم في الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢] الآية .

هؤلاء الجن هم الذين نقل الله -جل وعلا- إلينا إيمانهم وتعجبهم من هذا القرآن حينما قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ١ - ٩] إلى آخر الآيات.

آمنت به الجن وتعجبت من هذا القرآن، تعجبت منه واستحسنته وقابلته ثم انطلقوا إلى قومهم منذرين يقولون: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] الآيات كما سمعناها قبل قليل فهو رسولٌ إلى الثقلين إلى الإنس وإلى الجن، وقد كان الرسول من قبلهم

يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة-صلوات الله وسلامه عليه- وهذا من خصائصه قال -جل وعلا- مخاطبًا الجن بهذه الشريعة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦ - ٥٨]

فهذا هو نبينا -صلوات الله وسلامه عليه-، وهذا بعض خبره في أول مبعثه -عليه الصلاة والسلام-، وقبيحٌ بطالب العلم خاصة ألا يعرف سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم- فلا يعرف أحواله الشريفة ولا مواقفه المُنيفة، ولا سلمه ولا حربه ولا مغازيه -صلوات الله وسلامه عليه- ولا سراياه ولا سنته الشريفة-صلوات الله وسلامه عليه-فهذا الأصل يجب على المسلم والمسلمة أن يعلم منه ما ذُكر، وأما طالب العلم فيجب عليه ما لا يجب على عامة المسلمين ويجب على العلماء ما لا يجب على طلبة العلم المبتدئين، ولا على عموم المسلمين، فسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها أحواله وأخباره وأيامه وسنته -عليه الصلاة والسلام-.

فينبغي لطالب العلم بل يجب عليه أن يهتم بها وأن يقرأها ويفهمها ويتأملها حق التأمل؛ فإنها تفيده، تفيده في تعلمه وفي الصبر على العلم والخير والترقي فيه، وتفيده أيضًا في سياسة الناس ودعوتهم وهدايتهم لله -تبارك وتعالى-،

فقبيحٌ بطالب العلم ألا يعلم سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم- هذا ما هو طالب علم، ما هو طالب علم الذي لا يعلم سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم-إذا لم تعلم سيرة نبيك فتعلم سيرة من؟!

قبيح جدًا بطالب العلم ألا يعلم سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-فعليه أن يقرأ فيها ولو كتابًا مختصرًا ويحفظ نظمًا أو نثرًا والنظمُ أسهل؛ حتى يعرف الصحيح وما لا يصح فإن من لا علم عنده بالحديث والسنة والأسانيد قد أدخل في السيرة ما لا يصح وجعلوه ثابتًا عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وليس بثابت فتعلق به الذين لا علم عندهم، فزادوا وتركوا الذي يصح مما يجب عليهم أن يأخذوا به، فإذا تعلَّم طالب العلم وحفظ كتابًا وأتقنه في السيرة عرف الصحيح وعرف الضعيف الذي لا يثبت لأن السيرة تجمع، كتب السير تجمع

وليعلم الطالبُ أنّ السِّيَرَ ۞۞۞ تجمَعُ ما صحّ وما قدْ أُنكِرَ

فلابد أن تعرف يا أيها الطالب للعلم، سيرة نبيك-صلى الله عليه وسلم-وأما عامة المسلمين فيكفي من يعلم هذا الذي ذكر هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشمٌ من قريش وقريشٌ من العرب، والعربُ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -.

وأن له من العمر ثلاث وستون سنة، هذه هي **المحطة الثانية**، منها أربعون قبل النبوة، وثلاثة وعشرون بعدها، وأنه قد قضى منها بمكة ثلاثة عشرة، وبالمدينة عشر سنين.

والمحطة الثالثة: أنه نبئ باقرأ، وأُرسل بالمدثر، وبلده مكة-عليه الصلاة والسلام-.

والمحطة الرابعة: أن الله بعثه بالتوحيد والدعوة إليه والنذارة من الشرك والتحذير منه والترهيب منه وإنذار الناس منه وتخويفهم منه والدعوة عن البعد عنه، كما قال -جل و علا-:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٣] أي عظم الله -جل وعلا- وحده لا شريك لـه، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: الأصـــنام، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي للصـــلاة والعبـــادة، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: الأصنام، فلا تدعها من دون الله -جل وعـلا-، ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ٦ - ٧] : اصبر على أوامره حتى يظهر أمر الله - سبحانه و تعالى- .

هذا الذي يجب على المسلم والمسلمة أن يعلمه، كل مسلم ومسلمة يجب عليهم أن يعلموا هذا القدر تحت كلمة **محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم**- لا يكفي أن يقول أشهد أن محمدًا رسول الله، لابد أن يعلم معها ما معنى محمد -صلى الله عليه وسلم-الذي تقدم معنا بالأمس طاعته فيما أمر، تصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، هذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، ومن هو محمد رسول الله؟

هو هذا-عليه أفضل الصلاة والسلام-، جاهد في الله حق جهاده ثلاثًا و عشرين سنة حتى جاءه اليقين-صلوات الله و سلامه عليه-.

وليعلم المسلم أن النبي-صلى الله عليه و سلم- إنما فرضت عليه الفرائض بالمدينة، لم يفرض عليه شيء مع التوحيد إلا الصلاة وذلك لأهميتها، لأنها ثانية أركان الإسلام، تنهى عن الفحشاء و الآثام، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]،

فلعظمها فرضت في السماء لم تفرض في الأرض، ولم يأت بها جبريل-عليه الصلاة و السلام-وإنما خاطب الله -سبحانه و تعالى-عبده ورسوله نبيه محمدًا -صلى الله عليه و سلم -

لما عرج به إلى السماء–صلوات الله و سلامه عليه– عُرج به إلى السماء قبل الهجرة بنحو من ثلاث سنين، وتقدم إلى مكان لم يتقدم إليه أحد من خلق الله قبله، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ووصل–صلوات الله وسلامه عليه– إلى موضع يسمع به صريف الأقلام عند الرحمن–جل وعلا–، من كذب به فهو كافر بالله العظيم.

وصل إلى مكانة عليّة، لم تكن لأحد من قبله من خلق الله قاطبة ملائكة ولا مرسلين، فوصل إلى موضع بينه وبينه في حجاب يسمع صريف الأقلام التي تجري فيه الكتابة بمقادير الله –جل علا–.

وخاطبة الله –سبحانه و تعالى– بهذه الصلاة وفرضها على أمته خمسين صلاة، فقبلها –عليه الصلاة والسلام –ونزل بها، فلما مر بموسى سأله: ماذا قال لك ربك؟

فأخبره –عليه الصلاة والسلام –وأخبره بأمر الصلاة، فقال له: «فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، فرجع –صلى الله عليه وسلم–فسأل ربه التخفيف، فحُطت منها خمس، وهكذا لم يزل يتردد بينه–سبحانه وتعالى –وبين موسى –عليه الصلاة والسلام– جزاه الله عنا خيرًا، إذ كان السبب في التخفيف –صلوات الله وسلامه عليه – وخمسٌ الآن انظر كيف الناس يفرطون فيها فكيف لو كانت خمسين حتى فرضت خمسا، فقال–جل وعلا– : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[ق: ٢٩]،

هي خمس وهي بأجر خمسين فكل صلاة عن عشر؛ الظهر عن عشر، والعصر عن عشر، و المغرب عن عشر، و العشاء عن عشر، و الفجر عن عشر، خمس صلوات أجرها عند الله بمقام خمسين.

فرض الله هذه الصلاة في السماء اهتماما بشأنها وتعظيما لأمرها، فلا يجوز للمسلم أن يدع الصلاة فمن تركها فهو كافر في أصح قولي العلماء، إن تركها تهاونا وكسلا فهو كافر، وأما إن كان جاحدًا فهو كافر بإجماع العلماء جميعا.

فالواجب عليك أيها المسلم أن تعرف هذا، والهجرة الآن الناس انتكس عندهم المفهوم فيها، الهجرة فرضت على النبي-صلى الله عليه وسلم- بعد أن قضى ثلاث عشرة، وأذن الله له بالهجرة إلى المدينة دار النصرة دار الأنصار -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، بايعوا هذا النبي-صلى الله عليه وسلم – البيعتين: العقبة الأولى والثانية، وكان عمه العباس يستوثق له منهم ويقول لهم: **"تنصرونه وتحمونه مما تحمون منه نساءكم وأولادكم وإلا فدعوه فهو بين قومه عزيز بين أهله"**

فبايعوه على ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم هاجر وهاجر معه الصديق-رضي الله عنه وأرضاه – رفيقه في الهجرة، أفضل هذه الأمة بعد نبينا-صلى الله عليه وسلم -،وأرحم هذه الأمة بعد نبينا- صلى الله عليه وسلم-بهذه الأمة، وأشجع هذه الأمة على الإطلاق-رضي الله تعالى عنه و أرضاه- مكث سنتين في الخلافة تعدل عشرين عامًا أو تزيد-رضي الله تعالى عنه وأرضاه – وجزاه عنا وعن أمة محمد وعن الإسلام خير الجزاء- كان رفيقه في الرحلة في هذه

الهجرة المباركة ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]

قال له: **"يا رسول الله** – حينما كانا في غار ثور– **والله لو نظروا إلى أسفل أقدامهم لرأونا، قال له : لا تحزن، ما بالك باثنين الله ثالثهما يا أبا بكر"** – فرضي الله تعالى عنه– كان مع النبي–صلى الله عليه وسلم– في الهجرة، و هذا الذي يكفره الشيعة الرافضة اليوم، ويسمونه صنمًا–لعنة الله عليهم في الدنيا والآخرة– هؤلاء يطعنون فيه ويكفرونه –رضي الله عنه–وله المواقف الجليلة والمآثر العظيمة–رضي الله تعالى عنه–، اختاره الله لصحبة نبيه– صلى الله عليه وسلم–فكان رفيقًا له في الهجرة، وكان من حبه لهذا النبي وتفديته له بنفسه، كان في طريقه للهجرة تارة خلفه وتارة من أمامه، فسأله النبي–صلى الله عليه وسلم – عن ذلك: ما بالك يا أبا بكر؟ قال: إني يا رسول الله «وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ خَلْفَكَ» – يعني إن جاء من يطلب وأراد أن يفتك بك فليفتك بي أنا–، «أَذْكُرُ الرَّصَدَ» – وهو الذي يتقدم في الطريق يجلس ويختبئ ليفجأ الماشي– «أَذْكُرُ الرَّصَدَ ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ» –رضي الله تعالى عنه وأرضاه–رفعه الله لهذه المنزلة بهذه المحبة للنبي– صلى الله عليه وسلم– يقول فيه النبي– صلى الله عليه وسلم –: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ » إن أمنَّ الناس علينا في صحبته بنفسه وماله لأبو بكر – رضي الله تعالى عنه –.

فالهجرة فريضة وإن كانت قد انقطعت بفتح مكة فالتي انقطعت بفتح مكة، هي الهجرة من بلد الشرك، من مكة يوم أن كانت بلد شرك إلى المدينة إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–وإلى الأنصار والمهاجرين، هذه انقطعت لكن الهجرة باقية لأن النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول:

«لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، إذا طلعت الشمس من مغربها فليس من توبة.

وللقيامة آيات إذا وجبت ۞۞۞ فليس من توبة تجري وتلتحر
من ذاك أن تستبين الشمس طالعة ۞۞۞ من حيث مغربها والكل قد شهروا

فإذا انقطعت الشمس من مغربها فقد انقطعت التوبة فالنبي -صلى الله عليه وسلم -يقول: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ»، وهذه الهجرة هنا هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، أيُّ بلد للشرك يُنتقل منها إلى بلد الإسلام، لا يعيش المسلم إذا أسلم في ظهر المشركين، والآن للأسف – كما قلنا بالأمس -أصبحوا يتركون بلادهم أهل الإسلام ويذهبون إلى بلاد الكفر ويقولون نهاجر، ومُهاجرين بلغة السياسيين الكذابين، والصحفيين الجهلة الكذابين، والإعلاميين الجهلة الكذابين، هذه ليست هجرة، هذه فتنة، وإنما الهجرة، هي أن يفر المرء بدينه، وإسلامه وإيمانه، ونفسهِ وأهله، أن يفر بهم من بلاد الشِّرك إلى بلد الإسلام، هذه هي الهجرة، ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾[النساء: 100] هذا هو المُهاجر، أما أنت من تخرج إلى بلاد الكفار، إذا أدركك الموت، هل أنت مُهاجر يقع أجرك على الله؟ لا والله، هذا في سبيل الدنيا- نعوذ بالله من ذلك- فيبيعون دينهم بدينارهم، ودرهمهم، يحرصون على تحصيل الدنيا، ويذهبون بلا دين، بل أحيانًا كثيرٌ منهم يعود فقيرًا، لا حصَّل دنيا، ولا أسْلم دينًا.

نُرقِعُ دنيانا بتمزيقِ ديننا ۞۞۞ فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقِعُ

يُمزِّق دينه، يريد الدنيا، فيفسد الأولاد، وتفسد الزوجة، وربما فسد هو، ربَّما ارتدَّ وألحد- عياذًا بالله من ذلك- هذا لا يجوز للمسلم، لا يجوز للمسلم أن يذهب إلى بلاد الكفَّار، إلا لحاجة مُلحَّة ضرورية قُصوى، كتجارة لا توجد عند المسلمين وبهم حاجة إليها، كطبابة يتعلم، أو علم يحتاج إليه المسلمون ولا يوجد عندهم، يتعلمهُ ويرجع، أو سفيرًا في بلده، يذهب من أجل السفارة ويعود، هكذا.

فالهجرة إنما هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وأما الذي نراه الآن الهجرة من بلد الإسلام إلى بلد الشرك هذه فتنة، قال – جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ ﴾ [النساء: ٩٧]

شف(ظالمي أنفسهم) هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، لا يسلمون، سيُسألون يوم القيامة، هؤلاء الذين أقاموا في بلدهم وهم منه، بعد ما أسلموا، فكيف بالذي هو في بلد الإسلام الآن يذهب إلى بلد الكفر، الله أكبر- نسأل الله العافية والسَّلامة- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:97]، اسمعوا هذه الآية العظيمة.

﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ هذا الذي أسلم وهو من أهل هذه البلاد المشركة، فبقي فيها وهو يستطيع الهجرة، سماهم الله – جلَّ وعلا-: ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فهذا حالُ كلْ من بقي بين ظهراني المشركين، وهو يستطيع الهجرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يعني ملائكة الموت

﴿ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ احتجوا بهذا، و ليسوا كذلك ليسوا صادقين.

قال – جلَّ وعلا-: ﴿ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ ﴾ عياذًا بالله من ذلك،

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ لأنهم أقاموا بين ظهراني المشركين، وهم يقدرون على الهجرة إلا المستضعفين حقيقةً ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴾ [النساء: 98-99] هؤلاء الضعفة، المرأة ضعيفة والأطفال ضعفاء، وإذا كان لهم أبٌ فقيرٌ ضعيف، أو أُسِرَ أو غُلِبَ على أمره، أو وقِفَ و شُدِّدَ عليه، لا يستطيع، هؤلاء يعذرهم الله – جلَّ وعلا-، أمَّا من عداهم، فلا يعذرهم – سبحانه وتعالى-فالله – سبحانه وتعالى-، يتجاوز عنهم ويصفح، وبعثةُ هذا النبي كما قلنا، بعثهُ الله للناس كافة، وافترض طاعته على الثَّقلين، الجن والإنس كما قال الله – جلَّ وعلا-: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، وذكر الناس، وليس المراد منهم الإنس فقط، وإنَّما ذُكروا لشرفهم، فجنس الإنس أفضل من جنس الجن، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ فذكروا لشرفهم، وإلا فالجنُّ مخاطبون بنصوص الكتاب الأخرى التي سمعتموها في الآيات التي تلوناها.

فبعثهُ الله – جلَّ وعلا- للنَّاس، جميعًا، للعالمين﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: 107]،﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ:28]، هذا هو النبي – صلى الله عليه وسلم- بعثهُ الله للنَّاس أجمعين، للخلق أجمعين، إلى الثَّقلين الإنس والجن، و أكمل اللهُ به الدين – صلوات الله وسلامه عليه- وهذا الدين هو بقية رسالته – صلى الله عليه وسلم- الباقية في رسالة الأنبياء والمرسلين، يقول – عليه الصلاة والسلام-: « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ » وفي لفظ وبي خُتِم النبيون.

وبه خُتم النبيون، فبه تمَّ البناء، و به أكمل الله الرسالات، و به علينا نحن أكمل الدين – صلوات ربي وسلامه عليه، يقول – جلَّ وعلا- في يوم عرفة والنبي – صلى الله عليه وسلم- يخطُب بأمته، ويُشير بأصبعه إلى السماء، وينكسها إلى الأرض، ويستشهدهم « ألاَ هَلْ بَلَّغْتَ»، فيقولون: نعم، فيقول: «اللَّهم فاشْهدْ»، هذا فيه إثبات علو الله – جلَّ وعلا-، وأنَّهُ على العرش مستوٍ – سبحانه وتعالى-، استواء يليق بجلاله، وإلا كانت الإشارة إليه إلى العلو، والإشارة بالرأس إلى العلو من السَّفه، و قد كرَّم الله العقلاء، فكيف بنبينا أعقل النَّاس قاطبة – صلوات الله وسلامه عليه-.

ويوم خطبته في جمع حُجته ۞۞۞ أشار رأس له نحو العُلى ويرُ
أليس يشهد ربُّ العرش جلَّ على ۞۞۞ تبليغه ثم أهل الجمع قد شهدوا

بلى والله، فكان – عليه الصلاة والسلام – في هذه اللحظة، يخطب في أمته– صلوات الله وسلامه عليه– وقد حجَّ معه على ما يزيد على مائة وعشرة آلاف، في هذا الموقف، كان موقفًا عظيمًا، لم يجتمع في البيت مثله، هذا العدد، في ذلك الحين، قرابة مائة وعشرة آلاف حجوا معه، فأنزل الله في هذ الموقف المُبارك في يوم الجمعة، عشية عرفة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]

نعمةٌ عظيمة، وهي إتمام الدين، في يومٍ عظيم، وهو يوم الجمعة، في يومٍ عظيم، وهو يوم عرفة، في حجته – صلى الله عليه وسلم–، فأتمَّ الله به علينا الدين– صلوات الله وسلامه عليه–.

المتن:

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةَ،

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: 97_99].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: 56]

قَالَ الْبُغَوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تعالى-: " سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كانوا بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ "

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ .

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: 30، 31]

والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى....

الشرح:

سبب هذه الآية ونزولها في الذين ظلموا أنفسهم ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: 56] قد بيناه، والمصنف – رحمه الله – ذكر هنا كلام البغوي–رحمه الله–، والبغوي تفسيره من أحسن التفاسير وأجودها وأجملها وأنفعها وأصفاها وأنقاها على اختصار، فينبغي لطالب العلم أن يعتني به فيحصل على تفسير القرآن من هذا الكتاب المختصر النظيف الذي ليس فيه شيء من بدع أهل الكلام، كتاب مبارك، كتاب عظيم، ثم بعد ذلك ننتقل إلى تفسير ابن كثير فهو أوسع، لكن الأول مختصر وطيب، وقد كان أشياخنا يحثوننا كثيرًا عليه على أن نبدأ به،

فليعتنِ به طالب العلم لأنه بعيد عن الموضوعات الواهيات وبعيد أيضًا عن بدع أهل الكلام والمحدثات، فهؤلاء الذين أحدثوا وأدخلوا في التفسير ما لا يحمد، فالله -سبحانه تعالى- قد يسر لهذا الإمام في كتابه هذا أن طهره من هذه المحدثات من هذه البدع وحرره واختصره تحليلًا طيبًا جيدًا يناسب أن يبتدئ به طالب العلم، يناسب أن يعتني به طالب العلم في ابتدائه، ويناسب أن يكون لطالب العلم الذي يريد أن يعرف إجمالًا التفسير في وقت يسير.

يقول البغوي في هذا الكتاب: " **نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كانوا بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ** "

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: 56] أي اطلعوا، اخرجوا من مكة اذهبوا إليها، فلا تبقوا فيها، فهكذا المسلم إذا أسلم ببلد الشرك فإنه يبغي له أن يهاجر، ويدخل بين المسلمين ولا ينضوي بين الكفار ويبقى بينهم وينضوي تحت لوائهم.

وكان – عليه الصلاة والسلام– هذه الثلاث عشرة بمكة لم يدع إلا إلى التوحيد، فانظروا معشر الإخوة مكانة التوحيد وأهميته عند رسول الله–صلى الله عليه وسلم -، اليوم لو تكلمت في الناس ثلاثة أيام تباعًا لقام لك بعض السفهاء قال: التوحيد التوحيد توحيد توحيد، تشوفنا مشركين؟

فهل النبي–صلى الله عليه وسلم–والآيات هذه التي تنزل عليه دائمًا وأبدًا تذكر بالتوحيد وتحض عليه وتحذر من الشرك وتنهاه عنه، هل كانت تنزل على مشركين؟!!

كانت تنزل على سيد الموحدين – صلوات الله وسلامه عليه – ويقرؤها على خيار الناس، سادات الصحابة – رضي الله عنهم– بعدما آمنوا، ومع ذلك جاء هذا التذكير بالتوحيد والنبي– صلى الله عليه وسلم – ثلاث عشرة سنة لم يدع إلا إلى التوحيد بمكة، ما دعا إلى شيء سواه، ما جاء من الشرائع بمكة شيء سوى الصلاة وفي آخر الأمر قبل الهجرة بنحو من ثلاث سنين.

فأمر التوحيد أمر عظيم، هو الذي ينبني عليه قبول الأعمال، إذا لم تأت بالتوحيد فإنه لا فائدة من العمل الذي تعمله ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23].

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: 54]. فالذي لا يقوم بأمر التوحيد ويعتني به يقع في الشرك، فالشرك محبط للأعمال، كما أن الحدث مفسد للطهارة، فلا بد من الاعتناء بأمر التوحيد الذي قضى فيه النبي–صلى الله عليه وسلم – بمكة ثلاث عشرة سنة لا يدعُ إلى شيء سواه، «قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، تُفْلِحُوا» كلمة تدين لكم بها العرب وتسودوا بها العجم فأمر التوحيد أمر عظيم.

ثم بعد ذلك الشرائع إنما فرضت في المدينة النبوية مهاجر–عليه الصلاة والسلام – فرضت بقية الشرائع، الزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة قبل بدر فغزى بدرًا وهو صائم – صلى الله عليه وسلم – في رمضان، ثم الزكاة في العام نفسه الثانية من الهجرة في أصح قولي العلماء بأنه أخرجها– عليه الصلاة والسلام–بعد رمضان زكاة الفطر وهي من الزكاة، فصام–صلى الله عليه

وسلم–تسع رمضانات بالمدينة، السنة الأولى نشأ فيها وفرض الصيام في السنة الثانية صام تسع رمضانات كلها في الصيف، ليس فيها رمضان واحد في الشتاء – صلوات الله وسلامه عليه –،

ثم فرض الحج ثم الأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبقية شرائع الإسلام كلها إنما فرضت بالمدينة، وأما مكة فكانت ثلاث عشرة سنة الدعوة فيها كلها إلى التوحيد، والمدينة كانت الدعوة فيها إلى التوحيد لكن نزلت الشرائع فيها؛ لأنه وجد المجتمع المسلم الذي يتدين ويتعبد ففرضت عليه هذه العبادات يتقرب بها إلى الله–جل وعلا – أخذ على هذا – صلى الله عليه وسلم–عشر سنوات – صلوات الله وسلامه عليه –، حتى أتم الله به النعمة وأكمل به الدين – صلوات الله وسلامه عليه – فما من خير إلا ودل الأمة عليه وما من شر إلا وحذر الأمة منه، وأعظم خير دل الأمة عليه توحيد الله – جل وعلا – والإخلاص له، وأعظم شر حذر الأمة منه الشرك به–سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 116].

والآية الأولى ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء: 48].

فحارب الشرك – صلوات الله وسلامه عليه – كبيره وصغيره الذي ينقض أصل الإسلام والذي ينافي كماله، الشرك الأكبر ينافي أصل الإسلام، من فعله فهو خارج عن دائرة الإسلام ولو قال لا إله إلا الله لا تنفعه، والشرك الأصغر هو الذي ينافي كمال الإسلام كأن يحلف بالأمانة ويحلف بغير الله – جل وعلا – هذا من الشرك الأصغر، قول الرجل ما شاء الله وشئت، ما شاء

الله وشاء فلان ونحو ذلك هذا كله من الشرك الأصغر، ومع هذا الشرك الأصغر أمره خطير، وقد ذهب جمعٌ من أهل العلم أنه لا يُغفر لأنه داخلٌ تحت قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: 48].

فعلى العبد أن يحذر الشرك وأن يوليَ التوحيد اهتمامه ويُعطيه جُلّ وقته، ولا يسأم من القراءة فيه والمطالعة فيه.

ولمّا أكمل الله به الدين وأتمّ به علينا النعمة اختار له –سبحانه وتعالى– الرحيل إلى جواره –صلى الله عليه وسلم– بعد ما أكمل الله به الدين، فالتحق بالرفيق الأعلى–صلوات الله وسلامه عليه–وقد أخبر أصحابه بذلك حينما قال: **"إن رجلًا خُيّر بين ما عند الله وبين ما في هذه الحياة الدنيا، فاختار ما عند الله"**، فبكى أبوبكر –رضي الله عنه– إذ فهم ذلك وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– ينعى إليهم نفسه، وأنه اختار الدار الآخرة، فنزل به الوجع –صلوات الله وسلامه عليه–وماهي إلا ليال ثم التحق بالرفيق الأعلى –صلى الله عليه وسلم–، فهو بشر رسول–صلى الله عليه وسلم– يموت كما يموت غيره من الأنبياء والرسل، وكلهم يموتون كما يموت الناس، فإنه قد الله – جلّ وعلا– له في هذا الكتاب: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥]

لكن الموفق ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] –نعوذ بالله منها– فانتقل إلى جوار ربه، وجاء أبوبكر الصديق –رضي الله تعالى عنه–

وأكّد ذلك بقوله حينما سمع عمر يخطب في الناس ويقول: **" من قال إن محمدًا قد مات، والله لأضربنه بسيفي هذا وإنما ذهب إلى ربه وسيعود"**

فلما دخل أبوبكر وكان بالسنح، داره بالسُّنح جنوب شرق المدينة، شمال شرق مسجد قباء قليلًا، وكان بيته بالسُّنح، فلما جاء على بغلته –رضي الله عنه– كشف عن وجهه وقبّله بين عينيه وقال: **"بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيًا وميتا"**

ثم خرج إلى الناس فقال: **" أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت"** ثم تلا: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٤]

فهو نبيٌ مرسل –صلوات الله وسلامه عليه– بلّغ الرسالة، جاءنا بهذا الدين وأتمّ الله به النعمة علينا وأكمل الدين لنا، ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد ربه حتى أتاه اليقين، فأقرَّ الله –سبحانه وتعالى– عينه بنصرة هذا الدين وأنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١ - ٣]

فكان بعد ذلك –صلى الله عليه وسلم– لا يدع أن يقول في سجوده «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» هذا حديث عائشة –رضي الله عنها– يتأوَّل القرآن.

وإذا كان هذا النبي –صلى الله عليه وسلم–مات وجرى عليه الموت، لأن الله قد كتب هذا الموت على كل حي، فإن غيره سيموت، الناس إذا ماتوا يبعثون، ليتهم يقفون عند هذا الموت فقط ولكن سيبعثون.

المتن:

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: 55].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: 17، 18].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [النجم: 31].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7]

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ ﴾ [النساء: 165]

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ ﴾[النساء:165]

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: 36].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ– رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ- لَعَنَهُ اللهُ-، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 256].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا الله. وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

الناس إذا ماتوا يُبعثون سبق الآية ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: 30، 31]

فالناس إذا ماتوا يُبعثون، ويُجزون بما عملوا، كل واحد سيُجزى بما عمِل كما قال -جلّ وعلا-: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ أي من الأرض ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ أي في القبور، ﴿ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ يوم البعث، يوم يُبعثر ما في القبور ويُحصّل ما في الصدور، قال -جلّ وعلا- في سورة العاديات ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ١ - ٩] فبعثرة ما في القبور بإخراج الناس منها، ويُحصل ما في الصدور مما خُبِئ فيها من المكنونات فيُجازيهم الله -سبحانه وتعالى- على ذلك، وهو معنى قوله- تعالى-: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ﴾ يعني في القبور، ﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾ ببعثرة ما في القبور لتحصيل ما في الصدور مما كسبتموه وعملتموه.

فليعلم المسلم أنه موقوفٌ بين يدي الله –جلّ وعلا–ومحاسبٌ على كل ما يعمل صغيرًا وكبيرا، في كتابٍ ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩] نسأل الله اللطف والمسامحة، فبعد هذا البعث.

ثم لم ينقض الحديث ❁❁❁ ولكن بعد ذاك الوعيدُ والموعود

كما يقول الشاعر المتنسك النصراني شاعر بني تميم

أينَ أهلُ الديّارِ مِن قَومِ نوحٍ ❁❁❁ ثمَّ عادٍ مِن بَعدِهِم وَثمودُ
أينَ آباؤنا وأينَ بَنوهُم ❁❁❁ أينَ آباؤهُم وأينَ الجُدُودُ
سلكُوا مَسلكَ المَنايا فباؤُوا ❁❁❁ وأُرانا قَد حانَ مِنّا الوُرُودُ
بَينما هُم عَلى الأَسِرَّةِ وَالأَنماطِ ❁❁❁ أُفضَت إِلى التُرابِ الخُدودُ
ثمَّ لَم يَنقَضِ الحَديثُ وَلَكِن ❁❁❁ بَعدَ ذاكَ الوَعيدُ وَالمَوعُودُ
وَطَبيبٌ أَضحى يَعودُ مَريضًا ❁❁❁ وَهوَ أَدنى لِلمَوتِ مِمَّن يَعودُ

فإذا جعل العبد أصبح إليه اليوم الآخر، أحسن في دنياه وصلحت له دنياه وآخرته وإن هو غفل عن ذلك أفسد دنياه وفسدت عليه دنياه وآخرته– عياذا بالله– فالناس بعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كل واحد سيوقف بين يدي الله –جل وعلا–.

سيعيد اللهُ كلًا منهم ❁❁❁ وسيجزي فاعلًا ما قد فعل

فله –سبحانه وتعالى– ما في السموات وما في الأرض وهو الذي يجزي الذين أساءوا بما عملوا وسيجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فعلى العبد أن يستعد لهذا اليوم ولا يغفل عنه إلا ... –عياذًا بالله– من ذلك، والإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان لأنه إيمان باليوم الآخر وبما يجري فيه

ومن كذب به فقد كفر ومن شك فيه فقد كفر أيضًا والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن ٧]

إعادة الشيء أيسر من ابتدائه وقد فطر الله -سبحانه وتعالى- على هذا الخلق وأبدعهم على غير مثال سابق أوجدهم من العدم وغذاهم بالنعم فالذي يوجد أولا ابتداءً من العدم ليس بعزيز ولا بصعب عليه ولا عزيز عليه أن يعيدهم بعد ذلك مرة أخرى ويعيد تركيبه،

وأضرب لكم مثالًا -ولله المثل الأعلى- الإنسان إذا اخترع شيئًا وعرف ترتيبه ومواده ثم جاء العدو فأفسده عليه أو جاءت الحرب فدمرته هل يصعب عليه أن يعيده مرة أخرى؟

لا يصعب عليه لأنه هو الذي اكتشفه وهو الذي رتبه وهو الذي هندسه وهو الذي شيده وبناه فالإعادة أسهل من الابتداء من الإيجاد الأول، فإذا كان هذا فيما يتعلق بالإنسان في مخترعاته فكيف بالله -جل وعلا - في مخلوقاته -سبحانه وتعالى-؟!!

الإعادة أيسر وكله يسير على الله-جل وعلا-لكن أراد أن يقرر لك أن الإعادة كما أنها عندك أيسر فهي في حق الله من باب أولى، والله لا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس٨٢] -سبحانه وتعالى- سينبئك بما عملت وذلك عليه يسير-جل وعلا- فأين تذهب؟!

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [الإسراء: ١٤] نسأل الله اللطف والمسامحة، والستر والعفو العافية في الدنيا والآخرة، وقد أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين ما من أمة إلا وخلا

فيها نذير كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر٢٤] ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] تقوم بهم الحجة وتستبين بهم المحجة وينقطع بهم العذر، ويعذر الله – سبحانه وتعالى -فلا أحد بعد ذلك يحتج من الناس؛ فالله – سبحانه وتعالى – حكم عدل، أقام هذه البراهين وأقام هذه الحجج علينا حتى لا يكون لنا عليه حجة – سبحانه وتعالى – ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] ما من أمة إلا خلا فيها نذير -كما سمعنا-: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر٢٤]

أولهم نوح -عليه الصلاة والسلام-وهو أبو هذه الأمة أبو البشرية الثاني-صلوات ربي وسلامه عليه- فإن الطوفان أهلك جميع من في الأرض إلا نوحًا ومن آمن معه-صلوات الله وسلامه عليه-أولهم نوح أول الرسل-عليهم الصلاة والسلام -نوح -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-وهو أحد أولي العزم وهو أول أولي العزم-عليهم الصلاة والسلام-وآخرهم محمد-صلوات الله وسلامه عليهم – وهو خاتم النبيين به الله ختم النبوة فإذا ختمت النبوة فالرسالة من باب أولى قال -جل وعلا- ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]

والشاهد قوله: ﴿ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ فأول الأنبياء والرسل نوح -عليه الصلاة والسلام- والنبيون جاءوا من بعده – عليهم الصلاة والسلام -، أرسلوا إلى قومهم، فإن نوحًا بعدما حصل في الأمة في البشرية ما حصل من الشرك وتغيير التوحيد وإمحاء معالمه واندثار آثاره، بعثه الله -سبحانه وتعالى – يقال بعد عشرة قرون من آدم- عليه الصلاة والسلام-إذ من خلق آدم

إلى أن جاء نوح عشرة قرون كلها كانت على التوحيد كما قال ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- وجمع غيره من العلماء والمفسرين والتابعين وأتباعهم وأئمة الهدى.

فنوح أول الرسل بعد أن مضت عشرة قرون بينه وبين أبيه آدم- عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- فبعثه الله فهو أول النبيين والمرسلين الذين بعثوا للنهي عن الشرك والدعوة إلى التوحيد والتصحيح للناس أمور عباداتهم ودعوتهم إلى الله-جل وعلا-.

ثم بعد ذلك استمرت هذه السلسلة المباركة ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر٢٤] إلى أن ختموا بمحمد - صلى الله عليه وسلم-كما قال - جل وعلا-: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٠] - فصلوات الله وسلامه عليه- بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده،

والأمم كلها قد أعذر الله -سبحانه وتعالى- إليها وقد أرسل إليها الرسل كما قلنا من لدن نوح إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- يأمرون بالتوحيد وينهون عن الكفر بالله- جل وعلا - والشرك به، يأمرون بعبادة الله - سبحانه وتعالى -، وينهون عن الكفر بالله -سبحانه وتعالى - وعن عبادة الطاغوت كما قال- جل وعلا-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]

ما هو هذا الطاغوت؟ هو كل ما تجاوز العبد به حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، هذا هو الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده محدود له من الشرع من معبود أو متبوع أو مطاع -نسأل الله العافية والسلامة-.

ثم نقل المصنف-رحمه الله-كلام ابن القيم في تفسير الطواغيت وبيان من؟، فنقل عنه-رحمه الله تعالى-هذه التفسير، هذا المعنى للطاغوت ما تجاوز به العبد حده الذي أمر به يتجاوزه إلى غيره من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

والطواغيت كثر ولكن رءوسهم خمسة إبليس -لعنه الله- كما قال جل وعلا -: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٧ - ١١٩] هذا هو الشيطان والطاغوت الأول لأنه أقسم على رب العزة والجلال قائلًا: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] قال الله -جل وعلا -: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]

وإبليس لعنه الله يعرف ذلك فقال ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٣] قال: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤ - ٨٥]

قال -جل وعلا- له اذهب وانزل قال له: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤]

نعوذ بالله من ذلك هذا هو رأس الطواغيت على الإطلاق إبليس لعنه الله-جل وعلا- وطرده الطرد هو الإبعاد عن رحمته-سبحانه وتعالى -.

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ۖ لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨] فيوم القيامة يتبرأ من الذين اتبعوه ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] هذه هي النهاية فقل للذين يتبعون الشياطين من الإنس والجن، الذين يوحون إليهم زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون، لله حكمة في ذلك يبتلي به من شاء من عباده-سبحانه وتعالى-.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٣] هكذا أخبرنا ربنا في كتابه فإبليس لعنه الله هو رأس الطواغيت.

والطاغوت الثاني: من عبد من دون الله وهو راضٍ؛ يحب أن يسجد الناس له، يحب أن يركع الناس له، ويحب أن يعظمه الناس ويدعون فيه علم الغيب، وأنه وأنه كما يحصل من بعض المخرقين المتصوفين الكذبة الفجرة يزعمون أنهم ينظرون في اللوح المحفوظ وأن اتباعهم قد ضمنوا لهم الجنة، وأن من نظر فيهم نظرةً دخل الجنة وأن وأن إلى آخره، فهؤلاء كذابون دجالون يفسدون على الناس دينهم ودنياهم-عياذًا بالله- من ذلك هؤلاء في الحقيقة هم الذين

يعبدون من دون الله وهم راضون بذلك، بل إذا لم يعظموا تعظيم العبادة غضبوا على من لم يفعل معهم ذلك، لا يرضى إلا أن تركع له أو تسجد له أو تخضع له، أو تأخذ يده وتقبلها وأنت ساجد أو راكع وتعيدها في مكانها وهو جالس كالحيوان، الدواب ذوات الأربع وهكذا هؤلاء من الطواغيت.

أيضا ومن دعا الناس لعبادة نفسه، من عُبد وهو راضٍ هذا شيء، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه هذا **الطاغوت الثالث**، يأمرهم بأن يعبدوه من دون الله-تبارك وتعالى-عياذًا بالله من ذلك، ومن ادعى علم الغيب فهو طاغوت؛ الكهان هؤلاء طواغيت الذين يزعمون أنهم يعلمون المغيبات وأنهم يخبرون الناس بما في غد وهذا لا يعلمه إلا الله-جل وعلا-: « ثَلاثَةٌ مَنْ قَالَهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ » كما تقول عائشة-رضي الله تعالى عنها-ومنها: « وَمَنْ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ »

إذا كان هذا النبي-صلى الله عليه وسلم-لا يعلم إلا بوحي الله-جل وعلا-فكيف بمن دونه؟!

الله-جل وعلا-قال له أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٥٠] يعلم الغيب، الغيب لا يعلمه إلا الله-سبحانه وتعالى-: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٥ - ٦٦]

فالغيب من ادعى أنه يعلمه فهو كافر وهو من الطواغيت لأن الله-سبحانه وتعالى-لا يطلع على غيبه أحدا لا من ارتضى من رسول فينزله عليه بالوحي كما قال-جل وعلا-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]

فالإخبار عما في غد عن طريق الأنبياء يختلف عما يفعله الكهنة والكذابون والعرافون فإن أولئك يصدقون ولا يُصدقون، يصدقون مرة ويكذبون مئات المرات، وأما الأنبياء فلا، في كل مرة يصدقون لأنهم لا يخبرون إلا بما جاءهم الوحي به وأعلمهم الله به-سبحانه وتعالى-فلذلك يسلكه الله -جل وعلا-يسلك علم الغيب بالوحي الذي ينزله عليه بين أيديهم ومن خلفهم رصدا، ليعلم الناس أن هؤلاء مبلغون عن الله-تبارك وتعالى-.

وهكذا من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت مع علمه بأن هذا حرام وأنه هذا لا يجوز، ويجب أن يحكم بذلك وليس له في هذا أي تأويل هذا لا شك أنه من الطواغيت، من زعم أن هذا يسوغ له فقد كذب وهذا طاغوت-نسأل الله العافية والسلامة-.

ومن ذلك لا تظن فقط في الملوك والحكام من ذلك تخاطب الناس وتحاكمهم إلى زعماء القبائل والعشائر بالأعراف والسلوك المخالفة لكتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، إذا ما دعوا إلى شرع الله لم يقبلوه، وإذا دعوا إلى شيخ القبيلة قبلوا، إذا ما دعوا إلى شرع الله لم يقبلوه، وإذا دعوا إلى رئيس القوم قبلوا، إذا دعوا إلى شرع الله لم يقبلوا إذا دعوا إلى المعظم فيهم الذين

يجلونهم ويرونه إمامًا أو عالمًا كما يزعمون وهو ليس كذلك، ولكنهم يعظمونه كما يعظم عالم وليس بعالم فهو جاهل قبلوا، فهؤلاء كلهم طواغيت -نسأل الله العافية والسلامة – .

والدليل في هذا كما قال-جل وعلا-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦]

والدليل قوله -تعالى-: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

فنحن مأمورون بأن نؤمن بالله وحده لا شريك له ونخلص له العبادة ونكفر بالطاغوت الذي هوما ذكرناه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ومنهم هذه الرءوس الخمسة الكبيرة وهي:

- إبليس -لعنه الله-.
- ومن عبد من دون الله وهو راضٍ.
- ومن دعا إلى عبادة نفسه.
- ومن ادعى شيئًا من علم الغيب.
- ومن حكم بغير ما أنزل الله.

هؤلاء الخمسة كلهم طواغيت والكفر بهم وعدم المسير إليهم ولا الاستجابة لهم ولا السماع لهم لأن الله-جل وعلا-يقول: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

فإن أجاب هؤلاء الطواغيت فقد قطع ولم يستمسك بالعروة الوثقى-نسأل الله العافية والسلامة- وهذا هو معنى لا إله إلا الله، الذي هو لا معبود حق إلا الله-تبارك وتعالى-وقد جاء في الحديث كما ذكر المصنف «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ».

وهذا ختم به المصنف-رحمه الله تعالى-للحث على أن يؤخذ الإسلام بأكمله عبادة وأخلاقًا وتحقيقًا لهذا التوحيد الذي من فرط فيه فقد هلك-نسأل الله العافية والسلامة-.

رأس الأمر الإسلام، الإسلام وهو الاستسلام لله بالطاعة، الإسلام الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والبراءة من الشرك وأهله، فأن تأخذ بهذا الإسلام وتمسك به وأن تعتصم به وأن تقوم به فتفلح في الدنيا والآخرة، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، تقيم الصلاة، تعطي الزكاة، تصوم رمضان، تحج البيت، تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله-تبارك وتعالى-هذه الصلاة التي هي عمود الإسلام والعمود إذا سقط سقط البناء.

أما ترى الفسطاط يا ذا عندما ۞۞۞ تسقط منه الركن انهدما

لاشك الفسطاط إذ سقط ركنه انهدم وهو العمود الذي في وسط الخيمة، فالفسطاط هو الخيمة فإذا سقط العمود الذي في الوسط طاحت الخيمة.

فنسأل الله-سبحانه وتعالى-أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وذروة سنامه سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لأن فيه عزة للإسلام ولأهله وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ »

فلا تزال الأمة قوية مرهوبة الجانب ما أعلنت الجهاد في سبيل الله وقامت بالجهاد في سبيل الله ومحاربة أعداء الله ورسوله-صلوات الله وسلامه عليه- فهي إن فرطت في ذلك وركنت للدنيا سلط الله-سبحانه وتعالى-عليها عدوها وسلط الله عليها من يسومها سوء العذاب «سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»

نسأل الله-سبحانه وتعالى-أن يمن علينا وعليكم بالفقه في دينه والبصيرة فيه والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه، وأن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يجنبنا وإياكم وآباءنا وآباءكم وأمهاتنا وأمهاتكم وذرياتنا وذرياتكم وأزواجنا وأزواجكم كل شر وكل بلاءٍ ومكروه وكل فتنة عظيمة.

نسأل الله العافية والسلامة منها كما أسأله-جل وعلا-أن يثبتنا على هذا الدين حتى نلقاه إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ورضي الله عن المؤلف ورحمه وغفر له وجزاه عنا أعظم الجزاء، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبيه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

السؤال:

.....

الجواب:

أما بلاد شنقيط فأنا لم أزرها ما رأيتها ولكن عندي شيء من أخبارها وفاتنا الشيخ الأمين-رحمه الله وغفر له وأعلى في الجنة درجته- صاحب أضواء البيان ما أدركناه-رحمة الله عليه-، وقد لقيت منهم الشيخ عدود-رحمه الله-وكان من خير ما رأيت-رحمه الله تعالى-علامةً جليلًا-رحمة الله تعالى عليه-قد ترك علمًا طيبًا فإن شاء الله ينتفعوا به ومن أعظم ما ترك ومن أحسن ما ترك كتابته على مختصر خليل «التكميل والتسهيل»-رحمه الله تعالى-وكنت قد اجتمعت به مرات وتطرحت معه الحديث فوجدت عالمًا بحرًا-رحمة الله عليه-كنت قد قلت فيه وبينتُ ذلك إلى بعض إخواني وأبنائي

سرى حبكم في القلب قبل اللقاء بك ۞۞۞ فلما التقينا زاد في القلب حبُكَ
فوالله ما أبصرت شيخًا وعالم ۞۞۞ آتى وحده في مجلس العلم واتكا
ولكنني أبصرت أعلام أمتي جميعًا ۞۞۞ وحفاظ العلوم بشخصك

إلى آخر ما قلته فيه نسيته الآن-رحمة الله تعالى عليه-وما أعرف بلاد شنقيط من بعده ولكن من خير من أعرف الشيخ أحمد ولد مرابط أظن هو المفتي الآن، هو كذلك؟

نعم فالزموه واستفيدوا منه فإنه رجلٌ فاضل وقد شهد له الشيخ عدود الشهادة العظيمة في بعض تقاريظه وهو كذلك، وقد جلست معه مرات وكرات تكررت بيني وبينه فوجدت الرجل فاضلًا عالمًا فأنا أوصي بأن يدرس عليه هذا الذي أعرفه ومن عداه لا أعرف ورحم الله امرأ انتهى إلى ما علم وانتهى إلى ما سمع هذا الذي أعلمه.

وليُعلم أن العلم يحتاج إلى صبر وليعلم أن أمر العلم لا يهبك كله أو بعضه، إلا إذا وهبته كلك ونفسك كلها ووقتك كله واجتهدت في تحصيله وإن حصلت وصلت، وإن فرطت انقطعت.

نسأل الله-جل وعلا-أن يصلنا وإياكم بحبله، وأن يرزقنا وإياكم الاعتصام بدينه، وأن يجنبا وإياكم كل شر إنه جوادٌ كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمّد.

اللهم اجزِ شيخنا الفاضل خير الجزاء على هذا الشرح الطيب المبارك الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى، جل جلاله وتقدست أسماؤه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبله منه، وأن يجعله زخرًا له ولوالديه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، والحمد لله رب العالمين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.